محاضرة رقم ٧	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	التاريخ
المادة باللغة العربية	فلسفة التاريخ
المادة باللغة الانجليزية	philosophy of history
المرحلة	الثالثة
السنة الدراسية	٢٠٢٣ / ٢٠٢٤
الفصل الدراسي	الأول
المحاضر	د. أحمد محمود حمود
العنوان باللغة العربية	نظرية العامل الفردي – البطولي
العنوان باللغة الانجليزية	Individual Factor Theory – Heroic
المصادر والمراجع	فلسفة التاريخ – غوستاف لوبون
	ابن خلدون – المقدمة
	فلسفة التاريخ في الفكر الاسلامي – عبد الرحمن بدوي

المحاضرة : السابعة

نظرية العامل الفردي – البطولي :

أرجع بعضهم نظرية « البطل » أو « الرجل العظيم» في تفسير التاريخ إلى عهد الإغريق الذين أرسوا قواعدها وأخذوا بها. كما سادت هذه النظرية وطغت على تفكير الرومان في التأريخ. ومن ثم بقيت حتى القرن التاسع عشر لها تأثيرها الواضح في الأحداث التاريخية . وبهذا غدت من النظريات البارزة التي أثيرت حولها جدلاً وتأويلاً كبيرين بين المؤرخين والمفكرين وفلاسفة التأريخ. لا سيما الاستفهامات التي أثيرت حول إعطاء الأولية للفرد ، أم للمجتمع، في صنع الأحداث التاريخية والحضارية . كما أختلفت التأويلات حول مفهوم الرجل العظيم ، وفيما أذا كان بالإمكان عده رمزاً للقوانين التأريخية أو أنه دليل عليها أو تعبير عنها أو أداة لها أو نتيجة منبثقة عنها . ومع هذا فأن هذه التأويلات تقر بوجود خصائص تميز الرجل العظيم عن غيره من الرجال العاديين الذي يحفل بهم التاريخ .

العامل الفردي وأهميته في دراسة وتفسير التأريخ :

أختلفت الآراء في تحديد دور أو مهمة البطل في التأريخ فيما أذا كان قائداً سياسياً أو عسكرياً أو مفكراً أو مصلح اجتماعية أو فيلسوفاً أو أديباً أو فناناً أو عالماً أو فرداً يتصف بالمواهب والعبقرية أو ممن يجمع بعض هذه الصفات مجتمعة وتبع ذلك اختلاف المدارس والإجتهادات والمناهج في تحليل هذا الدور الذي يؤديه البطل أو الرجل العظيم . ويقول العالم والفيلسوف الانكليزي (هوك) في كتابه المعروف بـــ «البطل في التاريخ» : (أن مصير الشعوب يبدو في فترة من الحروب والثورات معلقا بما يقرره شخص واحد وربما عدة أشخاص قلائل) . ومع ذلك فأن الإهتمام بالرجال العظام والأبطال ودراسة حياتهم ، يمكن أن يكون مثار اهتمام في حالات أخرى أقل حدة وتأزما من ذلك .

وبهذا يطرح هوك لهذه الحالات عدة مسائل ، أعتقد بأهميتها لدراسة دور البطل في التأريخ. أهمها : أن دراسة الأبطال يعطينا فكرة عدم إمكان الاستغناء عن الزعامة في كل حياة اجتماعية وفي كل شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي كما أن تاريخ كل أمة يقدم في الدراسات التربوية والتعليمية بشكل مآثر من صنع الأفراد العظام سواء أكانت حقيقية ، أم خرافية . فضلاً عن أن الناس يتطلعون في خضم مقتضيات الفعل السياسي إلى من ينقذهم ، وأن الحالات التي تظهر فيها حادة في الشؤون الاجتماعية أو السياسية ويتطلب الأمر علاجه حيث أنها تزيد من الاهتمام بالبطل. هذا إلى جانب الأخذ بنظر الاعتبار طبيعة الأسس النفسية المختلفة للاهتمام بالرجال العظام بوصفهم وسائل يزاول بها هؤلاء نفوذهم أو دورهم . ومن حيث قدرة البطل أو نجاحه أم فشله في خلق حالة من الأمان والطمأنينة لأتباعه أو شعبه.

كما أعطى هوك في تحليله للبطل في التأريخ. فارقاً بين البطل رجل الأحداث في التاريخ ، وبين البطل صانع الأحداث في التاريخ . فالرجل الذي تحفل حياته بالأحداث التاريخية هو أي رجل أثرت أفعاله على التطورات التالية لها بشكل مغاير تماماً للشكل الذي كانت خليقة بأن تأخذه . لو لم تصدر تلك الأفعال عنه , وأما الرجل الصانع للأحداث فهو رجل أحداث ، لكن أفعاله في نتائج طاقات وملكات وذكاء حاد وإرادة قوية وشخصية بارزة أكثر مما هي نتائج حوادث عارضة ناجمة عن مركزه . وبهذا التمييز يحاول (هوك) أن يبين بأن البطل هو عظيم ليس فقط بسبب ما يفعل ولكن بفضل سجاياه وماهيته .

توماس كارلايل (١٧٩٥ – ١٨٨١) :

يعتبر كارلايل من أبرز الكتاب والمفكرين الذين دافعوا بحماس ومبالغة عن دور الأبطال أو الرجال العظام في صنع الأحداث التاريخية . وقد تميزت كتاباته في هذا المجال بالرومانتيكية . وأسلوبه أقرب إلى الخطابية منه إلى الأسلوب الفلسفي . كما تميزت أفكاره بالمحافظة والاعتدال وكان واقعاً بآرائه تحت تأثير

بعض المفكرين والفلاسفة الألمان ومنهم (كانت) و (فختة) و (غوتة) . ومن هنا وصف بعضهم كتاباته بأنها حافلة بالأحاسيس الشاعرية الدينية والصوفية واحياناً الاسطورية . أقترن اسم كارلايل بكتابة الحروف بـ (حول الابطال وعبادة الأبطال والبطولي في التاريخ) ، وقد ساهم هذا الكتاب إلى جانب مؤلفاته الأخرى في صياغة ما يعرف بـــ (نظرية البطل) التي اشتهر بها كارلايل .

قامت نظرية البطل عند كالاريل على فكرة كون البطل التاريخي هو الناتج الطبيعي والضروري لعنصر البطولة الكامن لدى الأمة التي يظهر فيها . وان اسلوب واستقبال واستجابة تلك الأمة للفعل التاريخي للبطل يؤشر مدى صحتها وقدرتها على الانجاز الحضاري . لا بل يشكل الابطال عبر التاريخ لديه، نبضاً حياً، ودائماً والبطل ما هو الا وهج ومحفز يضطلع بدور مخاطبة وتحفيز، وقيادة عنصر البطولة ، الكامن في أمة ما.

وبذلك نظر كارلايل للتاريخ على أنه حصيلة لأعمال ومآثر أبطال التاريخ وليس الشعوب وأن التاريخ العام ، أي تاريخ ما أنجزه الأنسان في هذا العالم هو في أعماقه تأريخ الرجال العظام الذين عاشوا وعملوا في هذا العالم . وأن جميع العوامل في التاريخ باستثناء الرجال العظام هي عوامل طفيفة الأثر لا يعتدّ بها . أن نظرة كارلايل هذه للتأريخ جعلته لا يخرج عن كونه مجموعة من « السير المختارة » . وعلى هذا الأساس أيضا كانت طريقته المحبذة في كتابة التاريخ أي (كتابة سير مشاهير الرجال) لأنه أعتقد أن من قرأ سير الأبطال في أية أمة يدرك حينئذ سيرة المدنية كلها . وهناك من رأى بأن المؤرخ الروماني تاسيتوس (١٢٠ – ٥٥ ق. م.) كان قد سبق كارلايل بهذه النظرية لا سيما من خلال دراسته لسير الأباطرة ودورهم في خلق المدنيات العظيمة أو انحطاطها .

أن القاء نظرة على بعض مؤلفات كارلايل تعكس نظرته في تمجيد البطولة في التاريخ. ففي كتابة (تاريخ الثورة الفرنسية) ، نعت هذه الثورة بالنعوت السلبية . كما غدا كمن يحذر بريطانيا من ذلك الزمن ويستحثها على المسؤولية الاجتماعية . وفي الحاضر والماضي يحاول صياغة يوتوبيا ، أجتماعية منتظرة . كما رسم في كتابه (حياة ورسائل أولفر كروموبل) صورة القائد المطلوب . أما في كتابه (تأريخ فردريك العظيم) ، فيقدم هذا الشخص بوصفه «حاكماً وملكاً نموذجياً . كما صبت جام غضبه على الديمقراطية ، الآخذة في التصاعد وقتئذ. وبهذا لم يعكس كارلايل اتجاهاً فلسفياً في طروحاته التاريخية أو اكتشاف أي برنامج سياسي محدد . ولم يبد التاريخ بنظره صورة نسقية ، بل هو خلاصة لمجموعة لا حصر لها من السير الشخصية . وبغير العظماء حسب اعتقاده لن يوجد تأريخ . بل أن التاريخ بنظره لا يتألف من سلسلة من الأحداث . لكنه يتألف من أفعال وأعمال . ومن هنا أرتأى أن الرجل العظيم . مسؤول عن كل أحوال ظهوره وفاعليته.

لقد أعطى كارلايل لبطله العظيم صورة انسانية سامية شبيهة بالأله ، وأعتقد بأنه اختيار العناية الإلهية وأداة بيدها. كما أنكر على الرجل العظيم أن يكون أبن عصره أو وليد مجتمعه. لقد مجد كارلايل أبطاله، بصفاتهم الدنيوية والروحية. ولم يصورهم ساسة أو قادة عسكريين لا بل وسع من مفهومة للبطولة، لتشمل أفراد يعدون في مصافي العباقرة أو العظماء ولا يمكن أن يطلق عليهم أبطالاً فقط . ولم يقصر البطولة على السياسة والحرب. لكنه أطلقها على أفراد يعدون ممثلين لمختلف جوانب الحضارة .

لكن مقياس البطولة في منهجه محدود في التفريق بين «البطولة الحقة» و«البطولة الزائفة». ومع هذا فأنه نادي بحكم الصفوة أو «النخبة». أذ نظر إلى الجماهير نظرة دونية ودعاها ب« القطيع » أو الاتباع أو «الخدم». كما أنه لم يعترف بوجود أية اختلافات نوعية في خلق البطل فالعظماء بنظره ينتمون أساساً –كما تخلقهم الطبيعة – إلى نوع واحد. كما تحدث عن أبطاله بحماس متماثل دون تفريق بين أحد أو أخر . ومن شروطه لتحديد هوية الرجل العظيم . أن يتصف بالروح الجادة والشجاعة والقدرة على العمل والانتاج والبصيرة النافذة والاخلاص وقوة الإرادة والتفكير العميق والأصيل. كما حاول أن يبعد من أي عظيم مهما كان طابع الزيف والخداع . فضلاً عن اعتقاده بأن المفكر العظيم والبطل الروحي صاحب الرؤية يستطيع بكلماته الثاقبة والمؤثرة أن يوقظ قدرات الجميع من سباتها وتحويلها إلى فكر. كما من بإمكانه أيضا أن ينفث فيها روح الحياة والعمل . ومع هذا دعا كارلايل إلى نبذ فكرة أعمال الخير ، لأنها على حد زعمه تضعف من نفوس البشر. كما عد الصدقة من الأعمال التي تؤدي إلى تحطيم معنويات الإنسان وتذله روحياً ونفسياً. ومن هنا أراد كارلايل تحويل المعرفة إلى عمل . وهذا برأيه يتناسب والنزعة الطبيعية .

لقد نالت نظرية كارلايل في البطولة ، على الرغم من اختلاف بعضهم في تفسيرها انتقادات متعددة . كما لم تجد أفكاره هذه استجابة تذكر في المجتمعات الغربية . فقد نظر بعضهم اليها على أنها رد فعل ناقدة لبريطانيا المادية الصناعية في العصر الفكتوري وقتئذ – العصر الفكتوري – هو العصر او المدة الزمنية التي بلغت فيها الثورة الصناعية في بريطانيا أوجّها ثم امتدت إلى أوربا ثم اميركا. وكانت نقطة أوج هذه المدة هي مدة حكم الملكة فكتوريا (١٨٣٧ – ١٩٠١) التي نسبة لإسمها تعود تسمية هذه المرحلة التاريخية. عندما تسلمت الحكم إعتقد كثيرون أن المسؤولية ستكون كبيرة جدا على فكتوريا، ولكنها كانت إمرأة ذات إرادة قوية واليوم يعتبر حُكمها هو الاطول في التاريخ البريطاني، في بداية عهدها كانت بريطانيا قطرا زراعيا وعندما ماتت انقلبت بريطانيا إلى قطر صناعي ضخم مترابط الاطراف بشبكات السكك الحديدية.. لا سيما بعدما أحدثته تحولات التحديث والمكننة بن تهافت على النزعة المادية وما تبع ذلك من صراعات طبقية وفوارق أجتماعية حادة . لذا فأن كالاريل عارض بأفكاره (مذهب المنفعة)

الاقتصادي البرجوازي . الذي كان من رواده عالم القانون والفيلسوف الانكليزي(جرامى بنثام) والفيلسوف والاقتصادي البريطاني (جون ستيورات مل) وعدّ أفكارهم رخيصة أذ قيموا ثمن الأشياء حسب مقدار منفعتها . كما عارض فكرة عدم تدخل الدولة في الاقتصاد التي روجّها في بريطانيا من قبله الفيلسوف والمفكر الانكليزي (جون لوك). فضلاً عن معارضته الفكرة الليبرالية بدعوته إلى ايجاد حكومة مركزية ، ذات سلطة في أدارة شؤون المجتمع . تعرف الليبرالية على أنها نظرية أو فلسفة سياسية تقوم على أفكار تدعو للحرية والمساواة، فالليبرالية الكلاسيكية تدعو إلى الحرية، بينما الليبرالية الاجتماعية تدعو إلى المساواة، ويتبنى الليبراليون أفكاراً تدعو إلى حرية التعبير، وحرية الدين، والحفاظ على الحقوق المدنية، بالإضافة إلى المساوة بين الجنسين. ظهرت الليبرالية كحركة سياسية أثناء عصر التنوير، حيث حظيت بشعبية كبيرة بين الفلاسفة والاقتصاديين في العالم الغربي، وذلك بسبب رفض الليبرالية للمفاهيم الدارجة خلال ذلك الوقت من الملكية المطلقة والتميز الإلهي للملوك، وسيطرة دين الدولة على الشعب.

ومن هنا عده بعضهم من دعاة الفاشية. لا بل عده بعضهم مسؤولاً إلى حد ما عن الأيديولوجية النازية . كما ضمه بعضهم إلى قائمة المفكرين الامبرياليين . تعرف الإمبريالية على أنّها السياسات التوسعية التي تتبعها الدول للسيطرة على الأراضي الخارجة عن حدودها، لاكتساب صفة الدول الكبرى أو الإمبراطوريات، وتتّخذ تلك السيطرة أشكالاً عسكريّة أو اقتصادية فضلاً عن التحكم في اتخاذ القرارات ، وقد أطلق لفظ الإمبريالية في الأصل للإشارة إلى كلٍّ من بريطانيا وفرنسا في الفترة التي سيطرتا فيها على أغلب دول قارتي إفريقيا وآسيا، لاستغلال مواردها الطبيعيّة الأولية واستخدامها في عمليات التصنيع الكثيف في أوروبا.

إلى جانب ذلك عاب بعضهم على كارلايل : أسلوبه الإنشائي الخطابي وما فيه من مبالغات وتهويل أوقعه في تناقض واضح. فقد أنتقد كارلايل « نظرية التفويض الألهي » للملوك , الا أنه قدم الأبطال في صورة المرسلين من قبل العناية الإلهية. كما نظر اليه بعضهم على أنه من الابتداعيين ، الذين نادوا بأفكار تستند إلى العودة إلى منابع الماضي وأستلهام قيم اليونان والرومان أو العصور الوسطى . وقد حاول (كاسيرز) نفي تهمة الفاشية التي الصقت بكارلايل وبين أن عبادة البطولة عنده كانت عبادة القوة الأخلاقية ، على الرغم من طروحات كارلايل القائلة بأن (القوة هي التي تصنع الحق) . الا أن كاسيرز أخذ على كارلايل أزدراءه للمنطق بتأكيده على «الحدس» و « التخيل » بوصفها مفاهيم اساسية لفهم الحياة والبطولة وتوجيه التاريخ.